

خَوْلَة

تاريخ الأدب الكردي

مؤلفه السيدة خولة

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م

حَوْلَ تَأْرِخِ الْأَدْبِ الْكُرْدِيِّ

يتضمن أربعة عشر بحثاً

تأليف

الدكتور معروف خزنده دار

هذا الكتاب

وهو باللغة الكردية يتضمن اربعة عشر بحثا في تاريخ الادب الكردي والبحث فيه والتحقيق لبعض من مخطوطاته ونشر نصوصها لأول مرة •
والكتاب حصيلة جانب من جهودنا العلمية باللغة الكردية منذ سنة ١٩٧٢ ولحد الآن •
وقد قمنا — اتماعا للفائدة — بتعريف موجز للابحاث باللغة العربية •

الشعر الديني في اللهجة الكورانية الكردية

الكورانيون جيل او مجموعة اتنوغرافية من الناس تشكل الشعب الكردي مع مجموعات أخرى ، لها تسمياتها أيضا . ولعل أدق تقسيم علمي للمجموعات القبلية الاتنوغرافية التي يتكون منها الكرد هو ما قام به المؤرخ الكردي الامير شرف خان البديسي (١٥٤٣-١٦٠٣م) حيث يقول : «والشعب الكردي اربعة فروع كبيرة ، تخالف لهجات لغتهم وسختها وآدابها ، اولهم (كرمانج) وثانيهم (لر) وثالثهم (كلهر) ورابعهم (گوران) » .

ويطلق اسم « گوران » في الوقت الحاضر على مجموعة العشائر والقبائل والاتحادات القبلية الاصلية التي تعيش في الجبال الواقعة شمالي طريق بغداد - كرمانشاه وعلى ضفاف نهر سيروان وفي منطقة هورامان بقسميها (هورامان لهون) في غربي تلك السلاسل الجبلية و (هورامان تخت) في شرقي السلاسل الجبلية المذكورة .

كانت اللهجة الكورانية سائدة في امارة اردلان التي اسماها بابا اردلان في القرن الرابع عشر . وقد اعاد بناء مدينة شهرزور التي دمرها المغول واتخذها عاصمة لامارته ، ولا يستبعد ان تكون هجرة الكورانيين في شرقي جبال زاگروس الى شهرزور قد حدثت لهذا السبب .

وتعتبر النصوص الشعرية الكورانية من اقدم النصوص في الادب الكردي او بدايته اذا استثنينا رباعيات بابا طاهر الهمداني (٩٣٥ - ١٠١٠م) التي كتبت باحدى اللهجات الكردية الايرانية المحلية . ولكن ذلك الشعر لم يحظ بالعناية لدى المعنيين بالادب الكردي من الكرد أنفسهم ، أما المستشرقون فلم يكن اهتمامهم به في مستوى تلك النصوص كثرات شعب عريق في ابداعاته الشعرية ، فيما كان الاستشراق الاوروبي شديد الاهتمام بأدب اللهجة الكرمانجية الشمالية للغة الكردية .

أما الأدب الديني فيرتبط في أكثر الأحوال بنشوء اللغة القومية في الأدوار القديمة الكلاسيكية أو ما تسمى بالأدوار الاقطاعية أما ما قبل الاقطاعية ، فند نشأت الشعوب الشرقية الحالية خلال تلك الأدوار وهي لاتعدى صدر الاسلام ، كانت العلاقة بين الانسان والطبيعة او معرفة الاله لزاله في صيغتها الاولى لذلك فان جزءا كبيرا من أروع ما انتجته قرائح الشعراء هو الوجداني العقائدي الذي ينظم العلاقة بين الانسان وبين القوة التي يؤمن بها على انها المسيطرة او الدافع الى تنظيم المجتمع .

يعتقد اتباع (اهل الحق) وهم اصحاب الادب الديني باللهجة الكورانية الكردية بالتقمص والتناسخ ، فانهم يقولون بظهور الاله سبع مرات في العالم . والتناسخ عند هؤلاء القوم على درجات : منه انتقال الروح من جسم انسان الى انسان آخر ، او من جسم انسان الى اجسام الحيوانات والوحوش والنباتات والاشجار والشعابين والعقارب وكذلك يعتقدون بأن الكون متحرك يدور حول نفسه ، ولا يوجد عالم آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه ، ولا وجود للحشر والجنة والجحيم والميزان والحساب ، ويرون ان القيامة هي انتقال الروح من جسم الى جسم آخر .

والشعر الديني أو التراثيم الدينية لمذهب اهل الحق مجموعة نصوص تكونت على مر العصور وهي لشعراء غير معروفين احيانا ، وفي الغالب تنسب الى انبيائهم واوليائهم شأنهم شأن الاديان الاخرى ، واذا ما اقترن شعر او ترنيمة باسم احد ، فان ذلك الشخص هو الذي حلت فيه روح الله أو انه في درجة ومقام الانبياء والاولياء ، ويمتد ذلك النص مقدسا عندهم والكلام المقدس هو الكلام الصادر من الاله او الانبياء او الاولياء .

كان المستشرق الكبير مينورسكي قد عثر على بعض مخطوطات الكتاب الديني عند هذه الطائفة وهو (سر انجام) اثناء اقامته وسفراته في ايران وكردستان، فقد قام بنشر المخطوطة فيما بعد باللغة الفارسية وكان فيها شيء من الشر والشعر باللهجة الكورانية الكردية ثم ترجمها الى اللغة الروسية ونشرها في سنة ١٩١١ .

يسمى الكاتب الكردي الايراني ماشاء الله سورى كتاب (سر انجم)
بـ (ترانيم يارسان الدينية) ، والكتاب يتكون من سلسلة من الترانيم
والاناشيد الدينية يسميها الاكراد بـ (الكلام) ، وهو شعر يغنى احيانا علي
انغام الالات الموسيقية وخاصة على ايقاع الطنبور . وللترانيم هذه مخطوطات
متنوعة وكثيرة في مناطق مختلفة ، وتسمى بـ (الدفتر) و « سر انجم »
اسم لاشهر هذه الدفاتر التي دون فيها (الكلام) ، وهناك بعض الاختلاف
في نصوص المخطوطات الكثيرة المتنوعة .

اما عدد الشعراء الذين كتبوا الشعر الديني باللهجة الكورانية فهو
كثير جدا ، وهم يمثلون جميع المذاهب الاسلامية وبالاخص المذهبين
الشيعة والسني ، ففي الوقت الذي نلاحظ فيه الخط الفاصل بين
مفهوم المذهبين في الشعر بالرغم من تقاربهما الشديد ، فاننا في
الواقع نرى تقاربا بين الشعر الديني الشيعة والشعر الديني لمذهب
اهل الحق مع تباعدهما من حيث الجوهر والعلة في ذلك لا شك
هي وجود الامام علي ابن ابي طالب الذي يحظى بالالوهية عند
اهل الحق وبالامامة عند الشيعة والخلافة عند السنة ، لذلك يرد اسمه واسم
بنيه في الشعر الديني باللهجة الكورانية هو الملاپريشان (النصف الثاني من
القرن الرابع عشر والنصف الاول من القرن الخامس عشر) . ان نتاجه
الشعري في مضمونه ديني بحت ، فيه مسحة اسلامية شيعية ظاهرة .

وكان شاعر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين مير محمد صالح
نعمة اللهی (۱۸۳۴ - ۱۹۰۵) يقف بين مبادئ وتعاليم مذهب الشيعة
الرسمي ومذهب اهل الحق في نتاجه الشعري فقط ، فالباحث في ديوانه
يراه مسلما شيعيا من اهل الشريعة آنا ، احيانا يبدو في ثياب اهل الحق
حيث يقرب عليا الى الاله ويمزج هذا التصوف وأهل الطريق حيث يجعل
عليا معشوقه الاول ومرشده الاكبر ولا شك بأن هذا الاعتقاد يخالف
التشيع الرسمي .

أما الجانب السني في الشعر الديني باللهجة الكورانية فتمثله جمهرة كبيرة من الشعراء الذين ينتمون الى المناطق المختلفة التي تسود فيها تلك اللهجة والى أدوار عديدة منذ نشأة الادب باللهجة الكورانية والى الوقت الحاضر .

لم يكن الادب الديني لدى الشعراء السنيين الاختصاص والفن الوحيد الذي أبدعوا فيه ، فجانب شعرهم الديني وهو طرف صغير من تتاجهم ، نجد لديهم شعر الحب والطبيعة والحياة الاجتماعية ، تلك ظاهرة تخالف الشعراء الشيعة أو شعراء أهل الحق الذين اقتصرت ابداعاتهم الشعرية في الغالب على الترانيم والانشيد والاشعار الدينية .

فالشاعر صيدي الهورامى على سبيل المثال هو شاعر الحب والجمال والطبيعة ، وله بعض القصائد الدينية ، فالنظرة السنية الى العقيدة الاسلامية بواضحة في شعره .

وكان الشاعر الملا عبدالرحيم الملقب بالمولوي (١٨٠٦ - ١٨٨٢) يمثل المذهب السني في شعره أيضا ، وهو من عمالقة الشعراء الاكراد في القرن التاسع عشر في الشعرالوجداني حيث يصور الطبيعة وافتتان الانسان بجمال المرأة ، فالشاعر وان لم يكن كالشعراء الاخرين في شعره الديني ، أي انه لم ينظم قصائدومقطوعات دينية بحتة الا أن ارجوزته الكردية المسماة بـ (العقد المرضية) في علم الكلام هي من عيون الشعر الديني .

وعلى العموم، فاذا كانت (اللغة المقدسة) اي اللغة التي نزلت بها الكتب السماوية خاصة ببعض الشعوب فان طائفة (أهل الحق) يعتبرون لهجتهم الكورانية الكردية اللغة المقدسة لمذهبهم لان اسس مبادئهم وترانيمهم الدينية قد دوت بتلك اللهجة ، كما أن أفراد الطائفة اليزيدية يعتبرون لهجتهم الكرمانجية الشمالية الكردية لغة مقدسة لان نصوص كتابيهما المقدسين (الجلوة) و(مصحف زهش = المصحف الاسود) قد دوت بتلك اللهجة .